مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٥/٣١

الأحد ٣١ تموز

تذكار القديس أفدوكيمس الصِدّيق

وتقدمة عيد تزييح الصليب

الكريم المحيي

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر السادس

الرسالة

(رومية ١٢:٦-١٤)

يا إخوةُ إذ لنا مواهبُ مختلِفةٌ باختلافِ النعمةِ المعطاةِ لنا فمَن وُهِبَ النبوَّةَ فليتنبَّأْ بحسَبِ النسبةِ إلى الإيمان* ومَن وُهِبَ الخِدمَةَ فليلازمِ الخِدمَةَ والمعلِّمُ التعليمَ* والواعظُ الوعظَ والمتصدِّقُ البساطةَ والمدبِّرُ الاجتهادَ والراحِمُ البشاشةَ* ولتكن المحبَّةُ بلا رياء. كونوا ماقتينَ للشَّرِّ وملتصقينَ بالخير* محبِّينَ بعضُكم بعضاً حبًّا أخويًّا. مُبادرين بعضُكم بعضاً بالإكرام* غيرَ متكاسلين في الاجتهادِ حارّينَ بالروح عابدينَ للرب* فرحينَ في الرجاءِ صابرينَ في الضيق مواظبين على الصلاة* مؤاسينَ القدِّيسينَ في احتياجاتهم عاكفين على ضيافةِ الغرباءِ* باركوا الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعَنوا.

ضيافة الغرباء

كان للغرباء مكانة في الكتاب المقدَّس إلى جانب اليتيم والمسكين والأرملة بسبب وضعهم الاجتماعي ولأنهم لا سند لهم في المجتمع وغالباً ما كانوا من المظلومين الذين ليس لهم من يساعدهم في حماية حقوقهم. إلاّ أن الغرباء نالوا معاملة خاصة حتى أن الرب يسوع ساوى نفسه بهم، وأصبحت ضيافة الغرباء من ضيافة الرب يسوع نفسه وهي من المعايير التي سيديننا الرب على أساسها.

في العهد القديم يظهر أن وضع الإنسان كوضع المنفي في هذا العالم بدءا من قصة آدم وحواء اللذين نفاهما الله من الفردوس بسبب خطيئتهما (تك ٣:٢٣)،وهكذا بدأ الإنسان في ترحاله الذي يصوِّره لنا سفر التكوين في قصة قايين الذي حكم عليه الله أن يكون تائهاً وهائماً في الأرض (١٢:٤). إذاً الصورة التي ينقلها لنا العهد القديم بداية هي أن الإنسان يعيش، بسبب خطيئته، في غربة وقلق وعدم أمان. والغريب هو الذي يعيش حالة عدم استقرار وقلق في أرض ليست له، إنها حالة الابتعاد عن الله.

من هنا يظهر لنا الكتاب المقدس الوجه الآخر من حالة الغربة هذه، إذ إن الإنسان لا يستطيع الاستقرار في الله إلاّ إذا تغرّب في العالم. ففي قصة إبرهيم يدعوه الله إلى ترك أرضه وعشيرته ليسكنه في أرض الميعاد، التي هي مكان السكن في جوار الله. وهكذا يصبح الغريب هو الذي يتلقى نِعَمَ الله وحمايته واهتمامه، وهو بدوره يدرك مدى اتكاله على الله وحده. كلما استقر الغريب في أرض أو في مُلْكٍ أو في سلطةٍ تخلّى شيئاً فشيئاً عن معونة الله له وحمايته وظنّ ان ملكه أو سلطته أو أرضه هي التي تؤمّن له الحياة والمعونة والحماية. لذلك كان الله يذكّر شعبه أن عليه أن يكون عائشاً دوماً بحالة غربة وهدفه العودة إلى الفردوس، إلى العيش معه، إلى الاستقرار في الله. وكلما حاد الشعب عن هذه الطريق كان الله يضعه في حالة غربة قسرية، خاصة عن طريق النفي. فعندما استقر شعب الله في مصر بعد نزول يعقوب وعشيرته للسكن مع يوسف، وبعد ان ظنّ أن مصر هي أرضه وهناك استقراره، «قامَ ملِكٌ جديدٌ على مِصرَ لم يكن يعرفُ يوسُفَ» (خر١:٨) وأخذ يعامل شعب الله كشعب غريب ما أدى إلى خروجه من أرض مصر. وعندما استقر الوضع

الإنجيل

(متى ٩:١–٨)

في ذلك الزمانِ دخلَ يسوعُ السفينةَ واجتاز وجاءَ إلى مدينتهِ* فإذا بمُخلَّعٍ مُلقى على سريرٍ قدَّموهُ إليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قالَ للمخلَّعِ ثِقْ يا بُنيَّ مغفورةٌ لكَ خطاياك* فقال قومٌ من الكتبةِ في أنفسهم هذا يُجدِّفُ* فعَلِمَ يسوعُ أفكارَهم فقالَ: لماذا تفكِرون بالشرِّ في قلوبكم* ما الأيسرُ أن يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياكَ أم أنْ يُقالَ قُمْ فامشِ* ولكن لكي تعلموا أنَ ابنَ البشرِ لهُ سلطانٌ على الأرضِ أن يغفِرَ الخطايا. (حينئذٍ قال للمخلَّع) قُم احملْ سريرَك واذهبْ إلى بيتك* فقامَ ومضى إلى بيتهِ* فلمَّا نظرَ الجموعُ تعجَّبوا ومجَّدوا اللهَ الذي أعطى الناسَ سلطاناً كهذا.

تأمل

بعد أن شفى يسوع المخلّع أرسله إلى بيته فأظهر عن طريقه تواضعه وإن ما جرى ليس خيالاً لأن الذين كانوا شاهدين لمرضه يستخدمهم هم أنفسهم شاهدين لشفائه. لأنه يقول أريد بدائك أن أداوي هؤلاء الذين هم أصحاء في الظاهر ومرضى في

بعد ذلك في مملكة إسرائيل ويهوذا عادالله وذكّرهم بأنه هو ملِكهم وليس آخر سواه فأرسل البابليين ونفاهم من الأرض التي ظنوا أنها لهم.

كذلك أراد الله تذكير شعبه بحالة الغربة عن طريق الاهتمام بالغرباء وعدم اضطهادهم لأنهم بهذه الطريقة يتذكرون أنفسهم: «لا تضطهدِ الغريبَ ولا تُضايِقهُ، لأنَّكم كنتم غرباءَ في أرضِ مِصرَ» (خر٢٢: ٢١) «كرمُكَ لا تُعلِّلهُ ونثارَ كرْمِكَ لا تلتَقِط. للمسكينِ والغريبِ تتركُهُ» (لاو ١٩:١٠) «إذا نزَلَ عندكَ غريبٌ في أرضِكم فلا تظلِموهُ. كالوطنيِّ منكم يكونُ لكم الغريبُ النَّازِلُ عِندكم وتُحبُّهُ كنفسِكَ. لأنَّكم كُنتم غُرباءَ في أرضِ مِصرَ» (لاو ١٩:٣٣–٣٤).

الله يحمي الغرباء ويسمع صوتهم ويجازي مَن يضطهدهم، لأنهم هم الذين يعرفون أن يتكلوا عليه، ويظهر ذلك في المزامير والأنبياء: «استمعِ صلاتي يا ربُّ واصغِ إليِ صراخي. لا تسكُت عن دموعي لأني أنا غريبٌ عندكَ. نزيلٌ مِثلُ جميعِ آبائي» (مز ٣٩:١٢) «غريبٌ أنا في الأرض. لا تُخْفِ عني وصاياكَ» (مز١١٩:١٩) «الرَّبُّ يحفظُ الغُرباءَ» (مز١٤٦:٩). «لا تظلِموا الأرملةَ ولا اليتيمَ ولا الغريبَ ولا الفقيرَ ...» (زك ٧:١٠). «وأقترب إليكم للحكمِ وأكونُ شاهداً سريعاً... على السالِبينَ أُجرَةَ الأجيرِ الأرملَةَ واليتيمَ ومَنْ يَصُدُّ الغريبَ ولا يخشاني قالَ ربُّ الجنودِ» (ملا ٣:٥).

صورة الغريب هذه أُعطيت بُعداً أعمق في العهد الجديد حين أصبح الغريب مثالاً للرب يسوع نفسه الذي كان غريباً في هذا العالم. لقد اتخذ الرب يسوع صورة الغريب الذي «ليسَ لهُ أينَ يُسنِدُ رأسَهُ» (متى ٨: ٢٠) وهو ليس من العالم (يو ١٧:١٣) ومملكته ليست من هذا العالم (يو ١٨:٣٦). والمؤمنون بالرب يسوع مثله غرباء في هذه الأرض ومسيرتهم هي نحو موطنهم الأصلي في السماء. أن يكون الواحد غريباً يعني أن يختبر عناية الله الفائقة به وأن يفهم مدى أهميَّة هذه العناية له.

كذلك على المؤمنين بيسوع أن يهتموا بالغرباء كاهتمامهم به، وإذ يضيفونهم فإنهم يضيفون الرب يسوع نفسه الذي ساوى نفسه بهم. وضيافة الغرباء هذه أساسية ومعيارية في خلاصنا وهي من الأسس التي ترتكز عليها الحياة في المسيح: «المحبَّةُ فلتكن بلا رياءٍ. كونوا كارِهينَ الشَّرَّ. مُلتصِقينَ بالخيرِ، وادِّينَ بعضُكم بعضاً بالمحبَّةِ الأَخويَّة... مواظبينَ على الصلاةِ مُشتركينَ في احتياجاتِ القدِّيسينَ عاكِفينَ على إضافةِ الغُرباءِ» (رو ١٢:٩–١٣).

الله سيديننا على أساس محبَّتنا للآخرين ومن بينهم الغرباء: «تعالَوا إليَّ يا مُبارَكي أبي رِثوا الملكوتَ المُعَدَّ لكم منذُ تأسيسِ العالَمِ لأني... كنتُ غريباً فآويتموني... فيُجيبُهُ الأبرارُ حينئذٍ قائلينَ يا ربُّ متى رأيناكَ ... غريباً فآويناكَ... فيُجيبُ المَلِكُ ويقولُ لهم الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم فعلتموهُ بأحدِ إخوتي هؤلاءِ الأصاغرِ فبي فعلتُم. ثمَّ يقولُ أيضاً للذينَ عن اليسارِ اذهبوا عني يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعدَّةِ لأبليسَ وملائكتهِ لأنّي... كنتُ غريباً فلم تأوُوني... حينئذٍ يجيبونَهُ هم أيضاً قائلينَ يا ربُّ متى رأيناكَ... غريباً... ولم نخدمكَ. فيُجيبهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوهُ بأحدِ هؤلاءِ الأصاغرِ فبي لم تفعلوا» (متى ٢٥: ٣٤–٤٥).

خدمة الدفن

رحمة الله لا منتهى لها، وصلاحه لا يُقاس. هذا ما حفظته كنيستنا المقدسة دائماً وآمنت به، لذا ترجو أن يكون الرب المحِّب البشر رحوماً تجاه الجميع حتى الراقدين. على هذا الأساس نظم كُتَّاب التسابيح الكنسيَّة منذ البدء خِدَم الدفن للراقدين تعبيراً عن اهتمام الكنيسة بهم وعن إيمانها بالقيامة وعن احترامها

الروح. ولكن كونهم لا يريدون ذلك اذهبْ أنت إلى بيتك لكي تقوّم هناك أقرباءك. أرأيت كيف انه خالقٌ للنفس والأجساد؟ يداوي شلل كل عنصر ويظهر ما هو غير منظور ويميِّزه عما هو منظور. ومع ذلك يبقى هؤلاء مجذوبين إلى الأرض. لأنه يقول: «فلما نظر الجموع تعجّبوا ومجّدوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً كهذا» (متى٩:٨). أي ان الجسد كان يمنعهم من الإدراك انه الله.

لكنه مع ذلك لم يزجرهم بل استمرّ عن طريق أعماله أن يوقظهم ويرفع من اهتمامهم. طبعاً لم يكن ذلك أمراً صغيراً أي أن يُعتبَر أرفع من كل الناس وانه يأتي من الله. لأنهم لو كانوا قد اقتنعوا بكل ذلك،لكانوا قد أدركوا مع مرور الزمن انه ابن الله أيضاً. لكنهم لم يدركوا ذلك كله ولذلك لم يستطيعوا أن يقتربوا إليه. لأنهم كانوا يقولون «هذا الإنسان ليس من الله» (يو ٩: ١٦) فكيف يمكن له أن يكون مُرسَلاً من الله؟ وكانوا يفكرون بذلك باستمرار متخذين ذلك مبرّراً لأهوائهم وميولهم الخاصة. الأمر الذي يفعله الكثيرون اليوم متخذين الله كمنتقم لهم لكي يتمّموا مآربهم الخاصة، بينما عليهم أن ينظروا إلى كل ذلك بوداعة. كما ان الله، للإجساد والفداء الذي ينتظرها.

طقس الدفن في الكنيسة الأولى اشتمل على خمسة أجزاء:

+ **الصلاة في المنزل حيث يُغسل جسد الراقد ويُدهن بالزيت ويُلبس الكتان الأبيض** وغالباً ما كان هذا اللباس الحُلَّة البيضاء التي يلبسها المؤمن بعد معموديته حين كانت معمودية الكبار أكثر شيوعاً.

+ **الزياح أو نقل الجثمان إلى الكنيسة:** كان الرومان الوثنيون ينقلون الأجساد ليلاً لأنهم رأوا الشر في الموت، أما المسيحيون فاختاروا النهار لنقل الأجساد وكانوا يحملون سعف النخل والمشاعل والمباخر تعبيراً عن فكرة الانتصار على الموت.وكانوا يلبسون الحُلل البيضاء ويرنمون مزامير الرجاء والظفر.

+ **خدمة الدفن:** تشتمل على تسابيح شكر وقراءات من الإنجيل والمزامير.

+ **الإفخارستيا:** الإحتفال بالقداس الإلهي تعبيراً عن الإيمان بالشركة الموجودة بين الأحياء والراقدين. بعدها قبلة السلام للميت.

+ **الدفن في القبر:** يوضع الجسد والقدمين نحو الشرق علامة للأمل في ملاقاة «شمس العدل» في المجيء الثاني. مائدة المحبة كانت تتبع الدفن عادة، كما كان الأصدقاء والأقارب يجتمعون في اليوم الثالث والتاسع والأربعين لرقاد الميت لينشدواالمزامير والتسابيح والصلوات.

هذا الترتيب كان متبعاً لدى معظم المسيحيين مع اختلاف الصلوات والأناشيد من منطقة إلى أخرى. وكان يجمعهم الإيمان والرجاء بالقيامة والسلام وعدم الخوف من الموت. في إحدى عظاته عن بعض الشهداء، يقول القديس يوحنا الذهبي الفم (القرن ٤): «لقد بكى اليهود في العهد القديم أربعين يوماً على يعقوب وموسى. أما اليوم، فإن الكنيسة، خلال دفن المؤمنين، ترفع الصلوات والأناشيد والمزامير .نشكر الله ونمجده لأنه «كلّل المنتقلين» و«حلّ الأوجاع» و«طرد الخوف» ووضع المؤمنين الراقدين قربه. لذا فإن الأناشيد والمزامير تكشف ان حدث الموت يحمل في طياته الفرح والسعادة بعد قيامة المخلّص يسوع المسيح المجيدة. المزامير والأناشيد رموز للفرح حسب كلام الرسول يعقوب: «أعلى أحدٍ بينكم مشقّاتٌ فليُصَلِّ. أمسرورٌ أحدٌ فليُرتِّل» (٥: ١٣). لهذا ننشد المزامير للمائتين، المزامير التي تشجعنا ولا تجرنا لليأس بسبب موت أحد الإخوة.

خدمة الدفن الموجودة حالياً في كتاب الأفخولوجي (كتاب الخِدَم والصلوات والأسرار) تعود في جذورها إلى القرن الخامس، وقد طرأت عليها بعض الإضافات على مر السنين.عادة يُتلى التريصاجيون، أي قدوس الله، قدوس القوي،... وما يليها مع الإفشين «يا إله الأرواح والأجساد كلها، يا من وطئ الموت وأبطل الشيطان ووهب الحياة لعالمه...»، في البيت وفي المدفن. أما خدمة الجناز في الكنيسة وبحسب ما هي واردة في الأفخولوجي فهي أطول بكثير مما يُتلى حالياً. هذه الخدمة موجهة في قسم منها إلى الرب لكي يرحم عبده الراقد ويستقبله في ملكوته، وفي قسم آخر موجهة إلى الأحياء لكي يتعلّموا التوبة قبل أن يأتي الانقضاء. تبدأ الخدمة بالمزمور ٩٠: «الساكن في عون العلي في ستر إله السماء يسكن...». الراقد هو في حمى الله فلا يخشى من خوف ليلي ولا من أمر يسلك في الظلمة. ثم المزمور ١١٩ المعروف بـ«طوباهم الذين بلا عيب في الطريق السالكين في ناموس الرب... يداك صنعتاني وجبلتاني، فهّمني فأتعلّم وصاياك. ارحم عبدك... انظر إليّ وارحمني...».أحد الكتّاب

الذي يستطيع أن يرسل ناراً على الذين يجدّفون عليه، يشرق شمسه ويمطر بغزارة على الجميع، علينا نحن أيضاً أن نتشبّه به، أن نتوسّل إليه، أن نسترشده بطريقة لطيفة دون غضب ودون أن نتحول إلى وحوش. لأن الله لا يتأذى من تجديفك. إن غضبت فأنت الذي تتحمّل الأذية. ولذلك تنهّد وابكِ بشدة لأن هواك هذا يتطلب دموعاً كثيرة. والذي جُرح لا شيء يستطيع أن يشفيه أكثر من الوداعة. لأن الوداعة أقدر من كل عنف.

... يجب إذاً أن نعالج الأمراض بوداعة. لأن الذي يتحسّن بداعي خوف بشري يعود من جديد وبسرعة إلى شرّه. لذلك أمر بأن يُترك الزؤان لكي يعطي فرصة للتوبة. كثيرون تابوا وأصبحوا مشهورين بينما كانوا أشراراً في السابق كما بولس والعشَّار واللص كانوا في السابق زؤاناً فأصبحوا قمحاً ناضجاً. لأنه بالنسبة للبذار هذا أمر صعب أمّا بالنسبة للإرادة فهو ممكن وسهل، لأن الإرادة لا تقيّدها نواميس الطبيعة بل أعطي لها أن تتمتع بحريّة الخيار.

لنفعل كل شيء إذاً لمجد الله حتى نحظى بذلك الميراث المغبوط. عسى أن نناله بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

المعاصرين يشبِّه خدمة الدفن بخدمة جناز المسيح من ناحية تلاوة آيات المزمور ١١٩ بالتدريج قبل أبيات التقاريظ. بالنسبة للميت، يوم دفنه هو «سبت عظيم مقدس» شخصي، فيه يدخل في سبت راحة المسيح الذي وطئ الموت بالموت. الموت مرحلة مؤقتة بانتظار القيامة الآتية لا محالة. وكما في خدمة جناز المسيح تُتلى التبريكات «مبارك أنت يا رب علمني حقوقك» بعد المزمور ١١٩، كذلك في خدمة الدفن (حالياً تبتدئ خدمة الدفن بالتبريكات). ثم تُتلى بعض القراءات والتراتيل والطلبة بأن يرتّب الرب نفس الراقد حيث الصديقون يستريحون وبأن يغفر خطاياه. ثم القنداق «مع القديسين أرِح أيها المسيح نفس عبدك حيث لا وجع ولا حزن ولا تنهد بل حياة لا تفنى». بعدها يورد الأفخولوجي ثمانية تراتيل كتبها القديس يوحنا الدمشقي (القرن ٨) بالألحان الثمانية، وهي في غاية الجمال والعمق اللاهوتي وهي موجهة للأحياء لكي يفطنوا ويتوبوا قبل الموت: «ويلي أي جهاد يصير للنفس حينما تنفصل من الجسد. ويحي كم ذا تبكي حينئذٍ وليس لها من يرحمها. تحدق بناظرها إلى الملائكة ضارعة وليس مَنْ يغيثها. تبسط يديها إلى البشر وليس لها من يعينها. لأجل هذا يا إخوتي المحبوبين لنتفطن بسرعة زوال حياتنا متحدين في المسيح لراحة المنتقل ولنفوسنا الرحمة العظمى». ثم نرتل المكارزمي أو التطويبات: طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات... مع التراتيل المرافقة وفيها نطلب لمن يسود الأحياء والأموات أن يريح في ديار القديسين «هذا الذي نقلته من الوقتيات والصارخ إليك اذكرني متى أتيت في ملكوتك». بعدها الرسالة (١ تسا ٤: ١٣-١٧) والإنجيل (يو ٥: ٢٤-٣٠). يسبق الرسالة إعلان المرتل «مغبوط السبيل الذي تسير فيه، فإنه تهيأ لك مكان الارتياح». إنه يدخل في راحة الرب. ثم وبحسب الترتيب القديم نرتل بعض التراتيل فيما يُقبِّل الأهل الميت: «هلمَّ يا إخوة نعطِ هذا الميت القبلة الأخيرة شاكرين الله...». بعدها صلاة الحل من الخطايا للراقد، ووضع التراب والزيت بشكل صليب على صدر الميت على أمل أن يكون الراقد يحمل معه مصباحاً مليئاً بزيت الأعمال الصالحة، ورمزاً إلى عودة الإنسان من الأرض التي خُلق منها.

كل مَن يتابع صلوات خدمة الدفن وأناشيدها سوف يتعزى برحمة الرب. كما ان هذه الخدمة مناسبة ليست فقط للتعبير عن حبنا للراقد، بل هي وقت ملائم لكي نتأمل في ذواتنا ودواخلنا وعلاقتنا بالله. عندها لا بد أن تلين قلوبنا وتجنح عن الشر وتتجه نفوسنا نحو الرب وتتوب قبل أن يدهمها الوقت. إنها مناسبة لكي نعي حقيقة وجودنا البشري وفراغ الأمور الدنيوية التي تشغلنا عن الله ونوجِّه قلوبنا وعقولنا نحو ملكوت الله.

عيد التجلي

بمناسبة عيد تجلي ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح على جبل ثابور يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت ٦ آب ٢٠٠٥ في كنيسة دير القديس جاورجيوس في سوق الغرب.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb